وضع النساء أياً كانت طبقتهن الاجتماعية. إن هذه القوانين مصدر الكثير من الألم والعذاب العاطفي والمادي ورمز عام لانعدام المساواة في العلاقات الجندرية.

٦. لا اظن إنها مسألة «اما...أو». ولكنني أوافق من غير شك على أنه يجب أن تتوفر روابط عبر القوميات مع نساء في «الشرق» كما في« الجنوب». أحد أهم الحجج في وجه التهمة الشائعة «بتقليد الغرب» هو أن النساء في بلاد غير غربية، مثل باكستان ونيجيريا والهند يعانين من مشكلات شبيهة ويناضلن نضالاً شبيهاً.

٧. هذا يصدق إلى حد بالنسبة للعديد من الحركات الاجتماعية في كل أنحاء العالم: أن الطبقة الوسطى المتعلمة هي التي لها الوقت والنشاط لتغيير العالم فيما يكافح الفقراء في سبيل العيش. ولكن عوامل عديدة تعلل كون الحركات النسائية العربية اليوم تخفق بصفة خاصة في تعبئة نساء الطبقات الاخرى (علي نقيض بلاد مثل تركيا حيث نجحت الحركة النسائية اكثرفي مناسبات عديدة في هذا المضمار).

٨. بكل تأكيد. لسوء الحظ تطبق منظمات نسائية عديدة في العالم العربي الثقافة السياسية السائدة في المنطقة، أي التسلط والبنى السياسية الهرمية. تحاول هذه النساء والمنظمات أن تتحدى أشكالاً وثقافات سائدة بأن تناضل سياسياً على جبهات عدة في آن واحد. وكثيراً ما يقضين في محاولة خلق بنى وعمليات ديموقراطية وقتاً أطول مما يقضين في النضال من أجل حقوق النساء. إلا أن هذه المحاولات هامة وإيجابية جداً علي المدى الطويل.

٩. أحد أكبر التحديات التي تواجهها عضوات الحركات النسائية العربية هو الاعتراض على الايديولوجيات والعلاقات الجندرية الموجودة في أسرنا نحن وبين أصدقائنا. كثيرون منا، سواء في العالم العربي أم في الغرب، لا يمارسون ما «يعظون به». يبدأ ذلك بعلاقاتنا في البيت كما مع اخواتنا. كثيراً ما لا نزال متواطئات مع النظام الأبوي: «فرّق تسد»، ونعامل نساء أخريات على أنهن منافسات لا شريكات في النضال.

١٠. كل مظاهر عدم المساواة وانعدام العدالة مترابطة، سواء قامت على أساس الجندر أم العرق أم الاثنية أم الدين الخ. والحركات النسائية في كل أنحاء العالم يجب أن تكون لها مقاربة متكاملة من مشكلة التمييز الجندري. لا يمكننا أن نحارب التمييز الديني أو الاثني أو ظلم الفقراء من غير أن نقاوم اللامساواة الجندرية في الوقت نفسه.

١١. أظن أن علينا أن نتخطى الجدل حول المصطلحات الذي لا نهاية له. قد يكون المصطلح «نسوية عربية» صحيحاً او مضللاً، تماماً مثل مصطلح «نسوية غربية».

١٢. بداية، يبدو أن عقد الامم المتحدة من أجل النساء عزّز الحركة النسائية العربية، ولكن بعض النشاطات لم تستمر.

١٣. التأثيرات متعددة: لقد قاد إلى إضفاء صفة المراسة المهنية على الجمعيات النسائية التي كانت تقوم في العقود السابقة بأعمال خيرية أو بالنضال السياسي. من جهة، نتج عن هذه المراسة المهنية ان تشترك في الحركات النسائية مهنيات متخصصات –طبيبات، محاميات، أكاديميات الخ. نجحن في أن يوفقن بين كفاءاتهن وبصيرتهن المهنية، من ناحية، ونضالهن السياسي في سبيل حقوق النساء، من ناحية أخرى. أظن أن هذا كان تطوراً إيجابياً. في الوقت نفسه قد تكون الحركات النسائية قد فقدت روح التطوع والنضال التي ميزتها في العقود السابقة، وتتعرض الآن لخطر «المهنية». لاحظت في مصر أن بعض النساء جعلن من نشاطهن النسوي مهنة. هذه ليست مشكلة إذا كانت مجرد أثر جانبي لنشاطهن، ولكنها تصبح مشكلة حين تغدو المهمة هدفاً في ذاته ولذاته.

١٤. الحكومات القامعة في العالم العربي تقيد بشدة كل أشكال المعارضة والتعبير السياسي. وتحس أن ما يهددها بصفة خاصة هي الحركات النسائية التي تعترض على الوضع الراهن. والحركات الاسلامية الراديكالية وإزدياد المحافظة الاجتماعية يمثلان ايضاً عقبة كؤود في وجه نمو الحركة االنسائية. ثم أن الاستعمار الغربي، ولا سيما سياسة الولايات المتحدة الخارجية فيما يتعلق بفلسطين والعراق وما تسميه حربها ضد الإرهاب، هذه جميعاً تضاعف مشاعر الكره للغرب في المنطقة. الى أن تستطيع النساء العربيات أن يكن أقل دفاعاً عن أنفسهن ضد التهمة أنهن مع الغرب أكثر من اللزوم، فيظهرن لمنتقديهن ١) أن الغرب ليس شيئاً واحداً؛ ٢) أن النسوية الغربية مختلفة الانواع؛٣) أن معظم النسويات الغربيات ينتقدن حكوماتهن، إلى أن يستطعن ذلك سيكون عملهن صعباً جداً.

١٥. يكون أمراً مدهشاً أن تصبح المنافسة أقل والتضامن والتعاون أكثر.

Email: N.S.Al-Ali@exeter.ac.uk

ندى مصطفى علي

أكاديمية سودانية وناشطة تعمل حالياً مع «الصحة الافريقية للتمكين والتنمية» التي مكاتبها الرئيسية في لندن. تحمل شهادة دكتوراه في الحكم من جامعة مانشستر (المملكة المتحدة). لها كتابات كثيرة حول قضايا المرأة في السودان والعالم العربي. عضوة مؤسسة لإتحاد النساء السوداني.

١. من الصعب جداً أن نتكلم عن حركة نسائية واحدة موحدة. في كثير من أنحاء العالم العربي لعبت تجمعات نسائية دوراً هاماً في النضال الوطني ضد الاستعمار وتمكنّ من تحقيق بعض التقدم، مثل إصلاحات في قوانين الأحوال الشخصية، وقوانين العمل (مساواة في الأجر)، ألخ. لكن، كما بينت نصوص نسوية مختلفة وناشطات محليات، لقد ركز العديد من هذه التجمعات على الاصلاح أكثر مما ركزت على تحويل كامل «لوضع النساء» في مختلف بلاد العالم العربي.

مثلاً، الحركة النسائية الناشئة في السودان لعبت دوراً في النضال ضد الاستعمار. كذلك لعبت التجمات النسائية دوراً هاماً في مقاومة الانظمة الدكتاتورية المختلفة التي حكمت السودان من ١٩٥٨–٦٤، و١٩٦٩–٨٥ والنظام الراهن. ولكن الحركة النسائية السائدة لم تتبنَ موقفاً تحويلياً من قضايا الجندر، ومع أنها كانت أكثر نجاحاً في تناول قضايا الاختلاف الاجتماعي – الاقتصادي فانها أخفقت في إدراك الاختلافات بين النساء السودانيات ، ولا سيما الاختلافات العرقية. إلا أن هناك تجمعات نسائية جديدة تتناول هذه القضايا الآن.

٢. وجّهت تهم «السم الغربي» إلى التجمعات النسائية الناشطة، ووجهها على السواء المحافظون وإلى حد ما القوى التقدمية في المنطقة – بما فيها فئات من الحركات النسائية الناشطة – ولكن وجهتها القوى المحافظة بالدرجة الاولى. أظن أن السؤال الذي يجب أن يطرح هو: لماذا يحصل ذلك؟ في معظم الأحيان يحصل ذلك لأسباب سياسية، وخاصة بهدف تقويض الخطاب النسوي التقدمي. كما بيّنت في مواضع أخرى سمعت مراراً وتكراراً أول امرأة في البرلمان السوداني تقول:

> لسنا نسويات! بالنسبة إلينا لا يعني التحرر أن نتصرف كالرجال، أو أن تكون لنا علاقات جنسية غير شرعية أو إنحلال أخلاقي. أنظروا إلى ما آلت إليه النسويات في الغرب! أنظروا إلى صور النساء العاريات على حيطان محطات المترو في لندن! أنظروا إلى إنتشار المخدرات، والمتشردين، والعائلات المفككة! هل تعرفون سبب ذلك؟ سببه أن الحركات البرجوازية رمت إلى تضليل الحركات النسائية ، وقد نجحت مؤامرتها![1]

تجمعات نسائية في الغرب تنتقد بعض هذه الأمور. في حالة مصر تناولت هذه القضية ندج العلي في مقالتها الممتازة «لسنا نسويات».[2]

من المهم أن نلاحظ هنا أن من أسباب مثل هذا الموقف ميل بعض تيارات النسوية الغربية الى جعل النساء متجانسات، وإعتبار نساء العالم الثالث «الأخريات». ولكن فيما يتعلق بالقوى المحافظة والجماعات الإسلامية المسيسة في المنطقة ما ينتقدونه عادة هوتأويل لما ترى القوى المحافظة أنه «النسوية الغربية».

٣. أعتقد أن هناك عوامل محلية وخارجية تعلل إنتشار الإسلام المسيس.[3] بوجه عام أنه جزء من إنبعاث حركات تنتظم حول الهويات الدينية والإثنية أو القومية. تجد هذه الحركات أرضاً خصبة في عالم يزداد معولمة حيث تستطيع تعبئة تجمعات دينية – وغيرها – مؤكدة على اختلافها عن «الغرب». بما أن النساء كثيراً ما يعتبرن حافظات الهوية القومية والاختلاف الثقافي، يُنتظر منهن أن يلتزمن بتصورات خاصة «للانوثة» وبتوليد حدود إثنية وقومية، مما يقوض حقوق النساء الإنسانية في كثير من الاحيان. فأنا أعتقد أنه من الصعب أن يقدم أي دين من الأديان مبدأ أساسياً طويل الأمد للنضال من أجل حقوق النساء. ولكنني أقرّ بوجود خطاب نسوي اسلامي وبأن في الدين والثقافة عناصر يمكن أن تشكل أساساً لتعزيز حقوق النساء الإنسانية، إلا أنه يجب مقاربتها مقاربة نقدية. تجمعات مثل «المرأة والذاكرة» (القاهرة) تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في هذا المضمار.

٤. هذه التعددية ليست بالضرورة سيئة في حد ذاتها، ولكن يجب أن نكون حذرين فيما يتعلق بالمكوّنات التحولية لبعض هذه النشاطات. يجب أن نسأل لماذا وكيف تُباشر؟ بوجود نسب الأمية العالية بين النساء (والرجال) في بلاد كالسودان، يجب إدخال محو الأمية كحق أساسي. قد يسهم هذا في تغيير أسلوب تعريف النساء ودورهن في المجتمع، ولكنه لن يغير بالضرورة «مركز النساء» في المجتمع. إذا استخدم محو الأمية بين البالغين كأسلوب من أساليب البيداغوجيا – البيداغوجيا النسوية – وإذا تمّ تنظيم النساءاللواتي يحضرن صفوف محو الامية حول جدول أعمال تحويل جندري، حينذاك تكون هناك قصة أخرى.

٥. يجب أن يكون النضال أقوى لتغيير قوانين الأحوال الشخصية، ولكن هذا لا ينبغي أن يشكل النشاط الوحيد لتجمعات النساء في المنطقة.

٦. التنظير النسوي تطور كثيراً في بلاد أخرى من العالم الثالث، خاصة في أميركا اللاتينية والهند. أظن أن هناك تجارب كثيرة لنساء هذه البلاد توازي تجارب تجمعات النساء في العالم العربي. نضالات الحركات النسائية في بلاد اخرى من العالم الثالث تستطيع أن تستفيد وأن تفيد من نضالات التجمعات النسائية في المنطقة العربية وتجاربها. ثم أنني أعتقد أن الغرب